تعليق على مقال

بقلم عبد الله الفياض الأستاذ

قرأت في مجلة البيان الغراء بأعدادها (٤٢ ؛ ٤٣ ؛ ٤٤) مقالا للاستاذ عبد الحميد الدجيلي ، علق فيه الكاتب على كتابنا الموسوم بـ « تاريخ البرامكة » ، وكم كان سروري عظيما عندما اطلعت على ما كتبه الاستاذ الفاضل لثقتي بسعة اطلاعه اولا ، وحياده في النقد ثانياً .

وبعد اطلاعي على ما كتبه حضرة الناقد ظهر لي انه ابتعد عن الصواب في كثير مما ذكره من النقد واليك ملاحظاتي على ذلك :

١ ـ ينفي الاستاذ الشعوبية عن أبي نؤاس ، وينتقدنا لاننا استشهدنا بالبيت الآتي على شعوبيته :

وما شرفتني كنية عربية ولا اكسبتني لاثناء ولافخرا

ومردّ نقد الاستاذ الى ان هذا البيت لا يدل على شعوبية ابي نؤاس لان الشاعر قاله على لسان يهودي ، والذي نعرفه ان الشعر مرآة تعكس نفسية الشاعر ويعرب به عن آرائه سواء قاله على لسان حيوان اوانسان اوأي شيء آخر ، وبالرغم من ذلك فان شعوبية ابي نؤاس لاتخفى على ذي عينين ، ويؤيدنا الاستاذ عبدالصاحب الدجيلي بماذهبنا اليه فيقول (اما اهاجيه ـ ابي نؤاس ـ للعرب فهي شديدة وكثيرة حتى انه ـ كما قيل ـ كان ينقل بنسبه في قبائل العرب عموماً ليطلع على احوالهم فيسهل عليه هجاؤهم ، وكان كذلك فانه هجا العرب قبيلة قبيلة .) «١»

وإن اراد حضرته الاستاذ الناقد الاستزادة فننقل له قول ابي نؤاس :

يبكي على طلل الماضين من اسد لادر درك قل لي من بنو أسد

«١» الدجيلي ، عبد الصاحب ـ الشعوبية وشعراؤها ـ ص ٢٥

ومن ثم ومن قيس ولفهما ليس الاعاريب عند الله من احد.

٢ ـ نقلنا عن الدكتور عبد العزيز الدوري نصاً مفاده (ان سنباذ المجوسي دعا الخرميه واتباع مزدك ، والغلاة من الشيعة) .

وبنصتنا الناقد المحترم بقلة التمحيص لنقلنا هذه الجملة دون مناقشة ، ويرى ان كلمة (الغلاة من الشيعة) مقحمة في هذا الموضوع من دون سبب ، وان ثورة سنباذ هذه مجوسية لا علاقة لها بالشيعة غلاة كانوا ام غيرهم بل لا علاقة لها بالمسلمين قاطبة «١» .

ولو تمعن الاستاذ بما كتبناه عن سنباذ هذا لظهر له اننا نعتناه بانه مجوسي وان ثورته ضد العرب والمسلمين ونقلنا رواية عن الطبري تثبت مجوسيته ورأياً للاستاذ براون يتعلق بمجوسيته وبينا انه يريد هدم الكعبة «٢»

اما قول الاستاذ ان كلمة الغلاة من الشيعة مقحمة فنحن نخالفه في ذلك ، ويظهر لنا ان حضرته يعتبر الغلاة من المسلمين لذلك نجده يحاول ان يكرر ماقلناه عن ان ثورة سنباذ مجوسية حتى ينفيها عن عامة المسلمين لاعتقاده ان الغلاة منهم ، ونستند بقولنا هذا على شخصية شيعية مشهورة وهي شخصية الشيخ المفيد « ره » وقد عرّف الغلاة بانهم (من المتظاهرين بالاسلام وهم الذين نسبوا امير المؤمنين والائمة من ذريته الى الالوهية والنبوة ، ووضعوهم من الفضل في الدين والدنيا الى ماتجاوزا فيه الحد وخرجوا عن القصد ، وهم ضلال كفار) «٣»

ولا ندري كيف ينفي الاستاذ الكفر عن اناس يشركون بالله وينسبون الائمة « ع » صفة الربوبية . وقد تبرأوا عليهم السلام من ذلك اذ قال احدهم مخاطباً احد اتباعهم قولوا فينا ماشئتم ولكن نزهونا عن الربوبية .

٣ ـ يرى الاستاذ ان المتتبع للتأريخ يشك في اصل البرامكة

«١» الدجيلي ، عبد الحميد ـ البيان ، ج ٤٢ ـ ٤٣ (آذار سنة ١٩٤٨) ص ١١١٢ .

«٢» انظر تفصيل ذلك في كتابنا « تاريخ البرامكة » ص ٣٦ ـ ٣٧ .

«٣» تصحيح الاعتقاد [طهران ١٣٦٣] ص ٢١٧ .

وهل هم من اصل فارسي او تركي ، وهل هم كانوا متعصبين للفرس ام لا ، ويستطرد الاستاذ فينقل رأي المستشرق كويتن الذي ينفي فيه انتساب البرامكة الى الفرس ، ثم يتكلم عن بلخ ويرى انها كانت ولاتزال مركزاً مهما من بلاد تركستان وانها تركية جغرافياً وعنصريا .

والذي نقوله ان الاستاذ لو تفضل وقرأ ما كتبناه في صفحة [٤٦] من كتابنا المذكور وما ذكرناه من مصادر لما جزم بأن بلخ تركية ، ولو رجع الى تلك الصحيفة لوجد ان بارتولد المستشرق الروسي المشهور والذي يعتبر حجة في شئون ايران وتركستان يجعل بلخ اقليما من اقاليم الساسانيين فيقول : [لم يكن لاقليم من اقاليم الساسانيين القديمة تأثير في رقي المسلمين كتأثير بلخ [١] وبالاضافة الى ما تقدم يقول الاستاذ ملكوم ان بلخ كانت عاصمة للامبراطورية الايرانية في عهد الملك اسفندار [٢] . اما المسعودي فيرى ان بلخ كانت عاصمة الفرس ثم انتقلوا منها الى المدائن [٣] .

ثم ان استشهاد الاستاذ برأي كويتن لا محل له لاننا نقلنا نفس الرأي في ص ٤٧ من كتابنا ودللنا على خطأه . اما تعصب البرامكة للفرس فلا نعلم كيف خفي على حضرة الاستاذ بالرغم من سعة اطلاعه . وبالرغم من الادلة التي ذكرناها في كتابنا على صفحة ١٠٩ ، ١١٢ ، فقد ذكرنا رواية الجهشياري التي ذكر فيها تعصب يحيى البرمكي للفضل بن سهل المجوسي ورواية ابن النديم [٤] وقد بينا الخطوة الجريئة التي خطاها البرامكة والتي شكلوا فيها حزبا فارسياً [٥] والمحاولات التي قاموا بها لابعاد القواد العرب كيزيد بن مزيد الشيباني وغيره [٦]

[١] بارتولد ـ تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٦٣
[٢] ملكوم ـ تاريخ فارس ج ١ ص ٤٨ .
[٣] المسعودي ـ التنبيه والاشراف ص ٩٢
[٤] الفهرست ـ ص ١٧٥ .
[٥] بارتولد ـ الموسوعة الاسلامية ، ج ١ ص ٦٦٣
[٦] ابن الاثير ـ الكامل ـ ج ٦ ص ٥٧ والاغاني ج ١١ ص ٨ ـ ٩ .

وينفي الاستاذ عبادة الاصنام عن الفرس ويستند على محاضرات خطية لايزال يحتفظ بها من عهد تلمذته ، والذي نقوله للاستاذ اننا نقلنا هذا الرأي عن مؤرخ محترم وهو الاستاذ ملكوم في كتابة تاريخ فارس ج ١ ص ٩ . كما ان القزويني الذي يعتبر حجة في شئون ايران يذكر ان الاصنام كانت منصوبة في النوبهار وان الفرس والترك تحج اليه «١» ولانعلم كيف يفسر الاستاذ حج الترك والفرس للنوبهار اذا كانوا لا يحترمون الاصنام الموجودة فيه . ومن الغريب جداً ان حضرة الاستاذ نفى سدانة النص عن النوبهار (وكانت البرامكة اهل الشرف ببلخ . . وكان دينهم عبادة الاوثان وكانت العجم تعظم ذلك البيت وتحج اليه) فيؤيد عبادة الاوثان ثم يعود وينفيها «٢»

٤ ـ ينفي الاستاذ ما قلناه عن مؤامرة الخيزران ضد ابنها الهادي وينكر وجود أدلة تاريخية على ذلك ، ويستشهد بنص من الجهشياري لاينفي ماذهبنا اليه وخلاصة هذا النص ان الهادي بعث في علته التي توفي بها على يحيى وقال له : افسدت علي اخي

ولاندري لماذا اغفل الناقد الرواية التي نقلناها عن الطبري والتي يقول فيها (وخافت الخيزران على هارون منه والهادي) دست اليه من جواريها من قتله بالضم والجلوس على وجهه) وكذلك لم يذكر حضرته النصوص الاخرى التي اوردها الجهشياري نفسه والتي تؤيد وجهة نظرنا . فقد ذكر الجهشياري ان يحيى كان بالحبس ويخشى القتل في تلك الليلة فبعثت اليه الخيزران تخبره بوفاة الهادي وتطلب منه الاستعداد للامر . وقد فصلنا ذلك في كتابنا المذكور . لذلك نكتفي بهذا المقدار «٣» ونحن اذ نختم لاننسى ان نقدم شكرنا لحضرة الاستاذ الدجيلي على رغبته الملحة في النقد وكلنا امل ان يكون رائده في النقد المصلحة وتنبيه المؤلفين وتنوير القراء حول بعض القضايا التي يختلف فيها مع المؤلف والله ولي التوفيق

بغداد — عبد الله الفياض

«١» القزويني آثار العباد ص ٢٢٣
«٢» البيان ، ج ٤٤ ص ١١٥٤ ـ ١١٥٥
«٣» راجع كتابنا ـ تاريخ البرامكة ص ٦٥ ـ ٦٨